قلتم بالاول **قلنا** اذا كانت العبادة من حيث هي هي يثبت لها
حظ البعث على فعلها فليثبت لفاعلها على خلقه له كما ان النفع لما ثبت
له حظ نفع المنتفع على الفعل ثبت له حظ حمل خالق المنتفع على خلقه على ما
زعمتم بل هنا اولى لاتحاد الحامل بخلاف ثم والصفة تثبت للفعل مع كل فاعل
على سوا فاذا ثبت ان العبادة غرض صحيح قصده الحكيم ويصح حصر
الغرض فيه لعدم الاعتداد بما عداه من الاعراض بجنبه وان صح ان
يصاحبه الف غرض مهم او اهم كما هو شان الحصر فلا يتوهم منافضة
ما قلنا لسائر التعليلات القرانية فيطابق العقل والسمع ان العبادة هي
الغرض والحمد لله وحده **ومن اوضح** الادلة على هذا
المقصد ان الله سبحانه شحن كتابه الفرقان وسائر كتبه وما اوحى الى
رسله من مدح نفسه تعالى بصفات الكمال منها بجمل انشائية ومنها بجمل
اخبارية مرادها الانشا **فان قلت** انما المراد بتلك المدائح تعليم
عباده كيف يمدحونه وما ظاهره الانشا فالمراد به الاخبار **قلنا**
هذا فهمك رعاية لقاعدة الشيوخ واما فهم من يعرف اساليب
الكلام ومقامات الخطاب ولا مركز له يرجع اليه سوا موافقة مراد الله
سبحانه ولا حجة عنده اعظم ولا احق بلا بشارت وحيه تعالى فهو
ما ذكرنا بل صرح به النبي صلى الله عليه وسلم بقوله كما اثنيت على نفسك
وبقوله لا احد احب اليه المدح من الله تعالى لذلك مدح نفسه ثم تاويلك
المتعسف لا يتمشى لك في مثل شهد الله انه لا اله الا هو فانك ان حملت
هذه الجملة على ان المراد بها الاخبار لغرض التعليم لم يمكنك ذلك
من لول هذا الخبر وكذلك لكن الله يشهد بما انزل اليك ونحو ذلك **ووجه
الاحتجاج** بهذا المقصد على ما نحن بصدده ان مدحه سبحانه نفسه
لا نفع فيه للمكلفين ولا يعود اليه سبحانه عود نفع وانما الداعي اليه كونه حسنا
في نفسه راجحا ينقل بنفسه داعيا للحكيم الى الفعل فقد ساوى العبادة
في هذا القدر قليلا **ثم نقول** وما ذهبوا اليه لا يتمشى على قواعدهم
قولكم الغرض هو مطلق النفع قلنا فلم خلقت هذه الدار مع امكان
الدار الآخرة التي هي الحيوان ابتدا كما قولكم الغرض الحقيقي هو الثواب

قلنا

١٠

قلنا طلب النفع لا يجب باعترافكم فلا يحسن الزام التكليف الشاق لأجله
قولكم تضمن دفع ضرر قلنا ذلك الضرر من لوازم التكليف ومتوقف عليه
فلو توقف حسن التكليف على دفعه لدار وايضا كان يلزم وجوب التكليف
والبصرية لا يقولون به مطلقا وكذا البغدادية لا يوجبونه لاجل دفع
ضرر بل لانه راجح كما يأتي تحقيق ذلك ومعناه **فان قلت** فظاهر كلامك
هذا الشذوذ في هذه المقالة واصابة فرد دون سائر الناس بعيد جدا فهل في
كلماتهم ما يونس بهذا حتى اذا سمعه الناظر استطاع ان يصرف ذهنه
الى معرفة حقيقة الامر **قلت** اما الشذوذ فلا يقال فيما وافق
كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم انه شاذ على ان الشذوذ عن المتكلمين
غير ضار فانهم ليسوا كل الامة ولا اكثرها ولا ادلاها بالحق ومعلوم ان
الذي لا نظير له في صنعة الكلام لا ينصف الآيات والاحاديث عن ظاهرها
وما طرقتك مقالة معها ظاهر الكتاب والسنة وسلفها الصحابة والتابعون
وتابعو التابعين وامام المناظرين في الكلام فلو اظفر بالتصريح بهذه المقالة
الا لابن تيمية في كتاب سماه مفتاح دار السعادة لم اره الا لحظة عند بعض
اهل الامر ولو استمكنت من كلامه لكتبته **واما المعتزلة** والبغدادية
فقد صرحوا بان سر التكاليف الشرعية وجه وجوبها انها شكر على سابقة
الانعام ولهذا قالوا الثواب بفضل وهذا وان لم يتهيا في خلق الخلق
الا انهم قد اكتفوا برجحان الشكر في نفسه وان ذلك يكفي في كونه حاملا
للمكلف على التكليف ثم اتفقوا على ان كون الشي راجحا في نفسه يثبت له حظ
البعث على الفعل وانه ليس من تتمة العلة الباعثة النفع او الدفع **واما**
البصرية فقد قالوا بما يدل على ذلك وقالوا يكفي في البعث على الفعل كونه
حسنا وان لم يكن راجحا في نفسه ومثاله العقاب عندهم فانه انما نفع
عندهم لحسنه قالوا ولا حاجة الى ان يتطلب ثم حكم بمرجح له في نفس الامر
يصير به اولى فانظر هذا التفريط والافراط العبادة مع ان حجيتها التي لا توارى
لا تكفي في الحمل على الفعل واما العقاب فيكفي فيه حسنه ومرادهم بالحسن ما
يعم مستوي الطرفين فالعقاب عندهم حسن ليس باولى فهو مستوي الطرفين ولم
ينتبهوا ان ما استوى فعله وتركه وان كان حسنا في نفسه لمعنى انه ليس بكرهة

Copyright © King Saud University